الفكر التربوي لدى ابن حزم في ضوء نظرته إلى الطبيعة الإنسانية وتطبيقاته التربوية

الدكتور صالح سلامة محمود البركات
جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

المقدمة:

يعاني العالم العربي والإسلامي من مشكلات تربوية حقيقية، تظهر الحاجة إلى مراجعة شاملة للنظام التربوي العربي وفق فلسفة تربوية إسلامية يتطلبها واقعنا ومقتضيات المرحلة التي نمر بها، والتي يتحتم علينا فيها التمسك بقيمنا وتراثنا وحضارتنا، ويعد الرجوع إلى الفكر التربوي الإسلامي الأصيل؛ من أجل بناء منظومة تربوية عربية إسلامية ليس مجرد رجوع إلى تراث ماضي يجب الحفاظ عليه، بل هو رجوع إلى مصدر حيوي متجدد، ومتطور على مر العصور والأزمان، يمتلك من المرونة في مبادئه وقواعده العامة المتعلقة بتنظيم الحياة البشرية ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان، ذلك بالإضافة إلى ما في هذا الرجوع من تأصيل للفكر التربوي العربي الحديث وربط لحاضر الفكر التربوي العربي بماضيه وتأكيد لشخصية الأمة العربية الإسلامية[1].

إن الحق والإنصاف يتطلب منا ربط حاضرنا بماضينا والبناء عليه، فالتشتت الذي نعيشه بأفكارنا لا يصلح أساساً لبناء مرتفع، ولا بد لنا من الأخذ بأفكار السلف

1) عمر محمد التومي الشيباني: قضايا الإنسان " الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ " (دط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987 م، ص 13.

أساساً، ونطور من خلالها أفكاراً لنا معاصرة؛ كي نصبح أصيلين في تفكيرنا، بدل التقليد لأمم فاقتنا في التقدم المادي.[1]

لذلك عني المفكرون والعلماء المسلمون بدراسة الفكر التربوي الإسلامي نظراً لما يواجهه من تحديات ومؤامرات معادية تستهدف طمس مساهمتها في الحضارة الإنسانية، فلقد ترك علماء المسلمين الأوائل تراثاً فكرياً وتربوياً يجب أن نعتز به؛ لأنه يعكس صورة الماضي؛ وبالتالي يضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به؛ وأن نأخذ منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة وقضايانا.[2]

ومن هؤلاء العلماء الأوائل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (384 هـ/ 994م)؛ الذي اتفقت كلمة القدماء والمحدثين على أنه من أشهر العلماء والفلاسفة في عصره؛ فقد ترك تراثاً فكرياً عاماً، وتربوياً خاصاً وعميقا، له وقعه، وتأثيره في الفكر العربي الإسلامي، والعالمي.

وتشير المراجع أنه ترك نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة في الفقه، والحديث، والأصول، والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ، والنسب، وكتب الأدب، والرد على المعارضين.

وتتضافر كل الروايات على عظم منزلة ابن حزم العلمية، يقول صاعد الأندلسي (462هـ)- وهو تلميذ لابن حزم-: "كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام،

1) أحمد أبو هلال عرفات حجازي شبانه: " مدى تكرار المفاهيم الواردة في كتاب ابن سحنون التربوي في الكتب التربوية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية: عمان- الأردن، 1987م، ص 3 .

2) عبد الغني عبود: في التربية الإسلامية، (دط)، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر، 1977م.

وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار."[1] ويؤكد ابن حيان (469هـ) -وهو معاصر له- فيقول: "كان ابن حزم حامل فنون من حديث، وفقه، وجدل، ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة"[2].

لهذا سوف يسعى هذا البحث لبيان الآراء التربوية لابن حزم وربطها بالحياة المعاصرة.

مشكلة الدراسة: على الرغم من التراث الفكري والعلمي الضخم الذي تركه ابن حزم الأندلسي؛ والذي يمتاز بالشمولية والموسوعية، والإنتاج الغزير، واشتماله على كمٍّ هائلٍ من القضايا الكبرى بما يستحق البحث، والتنقيب والدراسة، والتأصيل التربوي، إلا أنّ المكتبة العربية ما زالت فقيرة إلى ما كتب عنه، إذا ما استثنينا ما كتب عن حياته وأرائه الفقهية.

إنّ الكثير من مؤلفات وأفكار ابن حزم مازالت بحاجة إلى الدراسة، والتحليل؛ لهذا جاءت هذه الدراسة من أجل تسليط الأضواء على الفلسفة التربوية لدى ابن حزم الأندلسي، ومعرفة أسس التقدم والتطور في فكرنا وثقافتنا؛ لأن دراسة التراث الفكري لعلماء الأمة في أي زمن من أزمان الإسلام الزاهية ليست توقفاً عند الماضي، ولا هي دعوة للعودة إلى الوراء بقدر ما هي محاولة للتعرف على أساس ثابت يمكن أن نركن إليه في بناء أمتنا الحديثة.

---

1) شمس بن أحمد أبي بكر بن خلكان: (ت681هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (دط)، (دن):القاهرة– مصر، 1881م.

2) ابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (ت542هـ). (1979): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (القسم الأول)، (المجلد الأول)، ت إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت– لبنان، (دت).

تساؤلات الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما هو مفهوم الطبيعة الإنسانية عند ابن حزم الأندلسي (النفس والجسم، العقل والروح، الخير والشر، الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الوراثة والبيئة، والأخلاق؟

السؤال الثاني: ما هي التطبيقات التربوية للفكر التربوي عند ابن حزم في العملية التربوية والتعليمية (الأهداف التربوية، آداب المعلم، آداب المتعلم، المنهج الدراسي، طرائق التدريس)؟

السؤال الثالث: ما هي المبادئ التربوية المستنبطة من الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

1) التعرف على مفهوم الطبيعة الإنسانية لدى ابن حزم الأندلسي في مجالات النفس، والجسم، والعقل، والروح.

2) التعرف على التطبيقات التربوية للفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي في العملية التعليمة في مجالات: الأهداف، المتعلم، المعلم، المنهج، طرق التدريس.

3) التعرف على المبادئ التربوية لدى ابن حزم الأندلسي.

أهمية البحث والحاجة إليه:

1) إبراز الجوانب الإبداعية التي أسهم فيها العلماء المسلمون في مجال التربية والتعليم؛ فهناك الكثير ممن لا يعرف عن ابن حزم الأندلسي، ومؤلفاته، وفكره التربوي، والدور الحقيقي الذي قام به في التاريخ الإسلامي.

2) تمثل هذه الدراسة مساهمة تربوية، وفكرية بصورة معاصرة تسهل على الباحثين فهم الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي بسهولة ويسر؛ مما يثير الدافعية لدى

الباحثين للبحث والتنقيب في التراث العربي الإسلامي عن الأصول النظرية والتطبيقية لفكر الأمة.

3) إن هذا البحث محاولةٌ للكشف عن قدرات وإمكانات العقل الإسلامي، وقدرته على إنتاج منظومة تربوية معرفية لمواجهة التحديات على وفق مقتضيات الواقع آنذاك.

4) تعد هذه الدراسة محاولة لتأصيل الفكر التربوي العربي الإسلامي لدى ابن حزم الأندلسي في مواجهة ما تعانيه الأمة من تبعية فكرية نتيجة الغزو الثقافي الغربي الذي أدى إلى تكوين أجيال لا تعرف ابرز علماء الأمة، وفكرهم التربوي.

5) إبراز دور الفكر التربوي العربي الإسلامي لدى ابن حزم، فهناك كثيرون يجهلون الجهود التي قدمها العرب المسلمون للحضارة والعلوم، وقد يكون احد أسباب هذا الجهل ندرة، وقلة الدراسات التي عنيت بهذا الجانب.

حدود الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث، سيتناول الباحث الفكر التربوي لابن حزم الأندلسي من خلال مؤلفاته التالية: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "الإحكام في أصول الإحكام"، "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"، "المحلى"، "ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"، "جمهرة أنساب العرب"، "رسائل لابن حزم الأندلسي" (الجزءان: الأول والثالث).

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي البنائي[1]، وفق الخطوات الآتية:

1- المنهج التاريخي:

قام الباحث بالرجوع إلى المؤلفات الخاصة لابن حزم الأندلسي المذكورة في حدود الدراسة وهي "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "الإحكام في أصول الإحكام"، "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"، "المحلى"، "ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"، "جمهرة انساب العرب"، "رسائل لابن حزم الأندلسي" (الجزءان: الأول والثالث).

2- المنهج الوصفي:

قام الباحث بوصف الآراء والأفكار التي وردت في كتابات ابن حزم الأندلسي، وصفاً كيفياً في ضوء أسئلة الدراسة.

3- المنهج التحليلي:

قام الباحث بتحليل الآراء والأفكار والنصوص التي تركها ابن حزم الأندلسي، وتم التحليل وفق نظرة تتسم بالدقة والشمول، إذ يقوم الباحث بقراءة النص قراءة مستفيضة لكي يتسنى له التحليل على وفق أهداف البحث، وليتوصل من خلال التحليل إلى بناء أراء وأفكار تتسم وطبيعة البحث.

---

1) ديو بولدب، فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وسليمان الخضري الشيخ وطلعت منصور غبريال، مراجعة سيد أحمد عثمان، (دط)، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة- مصر، 1985م.

4- المنهج البنائي:

ويتم ذلك ببناء الأفكار والمبادئ، إذ يقوم الباحث بجمع الجزئيات وتركيبها وفق عناوين البحث للتوصل إلى المفاهيم والأفكار المراد توضيحها.

دراسات سابقة:

اطلع الباحث على عدد من الدراسات التي تناولت الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي ويلاحظ أن هذه الدراسات تناولت "ابن حزم" فقيهاً وكاتب سيرة، ومؤرخاً، وعالم أديان، وأديبا وشاعراً، والقليل من الدراسات تناولته من منظور تربوي، وقد أفاد منها في مجال دراسته ويمكن عرض هذه الدراسات وفق تسلسلها الزمني:

أجرى التكريتي[1] (1976): دراسة بعنوان "ابن حزم بين الدين والفلسفة في كتاب الأخلاق" هدفت إلى توضيح مزج **ابن حزم** في معالجته للقضايا الأخلاقية، بين ما تمليه عليه الشريعة الإسلامية، وبين ما يوافقها من الفلسفة من القضايا التي وردت في كتابه "الأخلاق". وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي متناولاً القضايا التي وردت في الكتاب وأظهرت الدراسة أن كتاب "الأخلاق" لابن حزم مليء بالحكم، والأفكار الأخلاقية، وأنه قد كتب بأسلوب أدبي، مزج فيه الآراء الدينية بالفلسفة، مع سيطرة الروح الدينية على الكتاب، فقد حثّ على طلب العلوم، إذ إنّ العلوم حسب رأيه تزيد العقل جودة، خاصة العلوم التي تقرّب من الله تعالى؛ لأن العقل لا ينفع إن لم يؤيد بتوفيق الدين، كما أنه استعمل قوى النفس الناطقة، والغضبية، والشهوانية بحكمة دينية.

1) ناجي التكريتي: ابن حزم بين الدين والفلسفة في كتابه الأخلاق، الحكمة (ع1)، 1976م.

وقام يفوت سالم[1] (1982) بدراسة بعنوان: "تصنيف العلوم لدى ابن حزم" هدفت إلى التعرف على تصنيف ابن حزم للعلوم، واتبع الباحث المنهج التحليلي لنصوص ابن حزم في رسائله ليتعرف على تصنيفه للعلوم، وبينت الدراسة أن ابن حزم لم يكن يحصي العلوم المشهورة لعصره، بل يفحص فائدتها الدينية والدنيوية، ويرى أن أفضل العلوم ما أدى إلى الفوز في دار البقاء، وأن الإنسان إذا اشتغل عن علم الشريعة بعلوم أخرى فقد آثر ما هو أدنى منفعة، وكان تصنيفه للعلوم كالآتي:

1- **علوم شريعة الإسلام:** القرآن الكريم، الحديث الشريف، الفقه، والكلام، النحو، اللغة، الأخبار.

2- **علوم سائر الأمم:** (محمودة اقترنت بالشريعة) وهي: علم الهيئة، الرياضيات، الفلسفة، الطب، الشعر، الخطابة.

3- **علوم خارج دائرة العقل والشرع:** (مذمومة) هي: السحر، الطلسمات، الكيمياء، الكواكب والقضاء بالنجوم[2].

وأجرى حسان محمد[3] (1984) دراسة بعنوان: "ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم"، هدفت إلى دراسة ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فعرض أهم ملامح شخصية ابن حزم، وملامح الفكز التربوي عنده،

1) سالم يفوت: تصنيف العلوم لدى ابن حزم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (دط)، الرباط: جامعة محمد الخامس 1982م.

2) المرجع نفسه، ص 7-81.

3) حسان محمد: ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم، مجلة الفيصل (ع82) (س7)، الرياض: دار الفيصل الثقافية، 1984م.

وبخاصة موقفه من الدعوة لتبسيط العلم ونشره، وآداب مجالس العلم، وتصنيف العلوم، وتوصلت الدراسة إلى أن ابن حزم دعاء إلى عدد من المبادئ أهمها:

- الدعوة إلى تبسيط العلوم.
- الدعوة إلى تشجيع العلم بتقديم الهبات.
- الدعوة إلى نشر العلم.
- التأدب في مجالس العلم.
- الميل والدافع نحو التعلم.
- اعتماد منهج البحث العلمي لمطالبته بالموضوعية والحرص والتدقيق.
- محورية وتكامل العلوم وترابطها.

وقام محمد إبراهيم رجب[1] (2000) بدراسة بعنوان "الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي" واتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي فعرض أهم الجوانب الأخلاقية والنفسية لشخصية ابن حزم الذي كان لها أثرها في فكره الأخلاقي، وتناول منهجه الظاهري، وأهم آرائه الفلسفية، وأهم المرتكزات الأساسية للأخلاق عنده.

وتوصلت الدراسة إلى أن ابن حزم فيلسوف له منهج فلسفي متكامل، وأن الظروف الاجتماعية، والنفسية، والأحداث السياسية التي عاشها كان لها أثرها الفعال فيه، كما توصل إلى أن ابن حزم قد ربط العقل بالأخلاق، يعدّ العقل أداة تمييز الخير من الشر، فضلاً عن أن تقسيمه للعلوم وحثّه على التزود بها كانت لها غاية أخلاقية هي تحقيق السعادة، وأن مصدر القيم الأخلاقية إلهيٌّ، والفضيلة عنده هي اتباع ما أمر الله به، أمّا الرذيلة فهي ارتكاب ما نهى الله عنه .

1) محمد إبراهيم رجب عبد الله: الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الأندلسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2000م.

ويلاحظ من عرض الدراسات السابقة أنها تباينت من حيث الأهداف، مثل دراسة (التكريتي) التي هدفت إلى تبيين مزج ابن حزم في معالجته للقضايا الأخلاقية بين الدين والفلسفة، أما دراسة (يفوت) فقد حاولت التعرف على تصنيف ابن حزم للعلوم، ودراسة (حسان) هدفت إلى دراسة الفكر التربوي عند ابن حزم، ودراسة (محمد) هدفت إلى تعرّف الفكر الأخلاقي عند ابن حزم، واتبعت أغلب الدراسات السابقة المنهج التاريخي التحليلي، ويلاحظ أن معظم الدراسات أغفلت الطبيعة الإنسانية في الفكر التربوي لابن حزم، وهذا ما تحاول هذه الدراسة بيانه.

الأسس الفلسفية للفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي في ضوء النظرة إلى الطبيعة الإنسانية:

– أولا: النظرة إلى الطبيعة الإنسانية

من الصعب على الإنسان أن يقف على الفكر التربوي لدى مفكر أو فيلسوف، دون أن يتعرف على رأيه في طبيعة الإنسان؛ ذلك لأن أية فكرة تربوية لم توضع إلا للإنسان، والإنسان مادة التربية الأولى، ومحور عمل التربية بأكملها، ولأن التنظير التربوي يقوم أساسا على فهم أبعاد الطبيعة الإنسانية ذات الصلة الوثيقة بالتربية، والوقوف عليها يعني القدرة على استغلالها وتوظيفها بما يكفل تحقيق الذات ورقي المجتمع.

والمفكرون في نظرتهم إلى طبيعة الإنسان على خلاف؛ إذ نظروا إليها من زوايا متعددة منها:

1.1– النفس – الروح – الجسد:

جاءت قضية الطبيعة الإنسانية في مجمل القضايا الكبرى التي تصدى لها ابن حزم بالبحث والتحليل؛ لدورها العملي والأخلاقي في الحياة وما ينسحب عليه من سعادة

وشقاء في الدنيا والآخرة. فابن حزم يقرّ بأن "النفس"، و"الروح" اسمان مترادفان لمعنى واحد؛ ومعناهما واحد، وأن من زعم بأن الروح غير النفس قد زعم بأنهما شيئان، وقال ما لا برهان له بصحته وهذا باطل، فمن لا برهان له فليس صادق[1].

وقد ذكر ابن حزم عدة صفات للنفس استخلصها الباحث من مؤلفاته، من كتب ورسائل وأبرز هذه الصفات هي:

1. وجود النفس سابق لوجود الجسد؛ فالأنفس مخلوقة من عهد آدم عليه السلام، مصوّرة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم - على جميعهم السلام- وقبل أن يدخلها في الأجساد.

2. النفس نوع للجوهر؛ فهي مركبة من موضوع ومحمول، وهي قائمة بنفسها.

3. النفس جوهر مادي لأنها جسم طويل عريض عميق ذات مكان.

4. للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك وإذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم.

5. النفس لا تتغذى ولا تنمو، والنفس تموت[2]؛ لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[3]، وهذا الموت هو فراقها للجسد فقط؛ برهان ذلك قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[4]. وابن حزم متيقن من وجود هذه الصفات

1) أبي محمد علي بن أحمد بن حزم: المحلى بالآثار، ت أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة: القاهرة- مصر 1347هـ، ج1.

2) المصدر نفسه، ص74-90.

3) الأنبياء: 35.

4) الأنعام: 93.

للنفس إذ قال في رسالته "فصل في معرفة النفس بغيرها": "أطلت الفكر في نفسي، بعد تيقني أنها المدبرة للجسد، والحساسة الحية العاقلة المميزة العالمة".[1]

ويذكر أن للفظ "الإنسان" استعمالات ثلاثة:

1. يراد به النفس فقط لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾[2].
2. يراد به الجسد فقط لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝﴾[3]
3. يطلق على النفس والجسد معاً فنقول في الحي هذا إنسان[4].

واستمد ابن حزم نظرته هذه للنفس أو الروح الإنسانية من أصوله الإسلامية، ومن اطلاعه على الفكر اليوناني.

ويشير ابن حزم إلى أن النفس الإنسانية تتركب من قوى مختلفة كالعدل الذي يزين لها الإنصاف، والغضب والشهوة اللذين يزينان لها الجور، والفهم الذي يجذبها إلى الحق والجهل الذي يطمس عليها الطرق، ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل: " المنطق " فجعل لها خالقها سبيلاً إلى فهم خطابه عز وجل، ومنها قوة العقل التي تعين النفس على نصر العدل.[5]

---

1) ابن حزم (1980): رسائل ابن حزم الأندلسي، (ط1)، ت إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت– لبنان، 1980م، (443/1).

2) المعارج: 19–21.

3) الرحمن: 14.

4) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (5/65–66).

5) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة العاصمة: القاهرة– مصر، 1925م، ج1.

وعن علاقة النفس بالجسد يرى ابن حزم أن علاقة النفس بالجسد لا تزيد عن أن تكون واحدة من ثلاث: إما أن تكون مخلّلة لجميع الجسد من خارج كالثوب، وإما أن تكون متخللة لجميعه من الداخل، كالماء في المدّرة، وإما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ، وتكون قواها منبثة في جميع الجسد[1]؛ وأنّ سبيل اتصال النفس بالبدن الذي تحلّ فيه، فعلى سبيل المجاورة فقط لأن الممازجة بين جسمين لا تكون البتة.[2]

2.1- النظرة إلى العقل:

لم يهمل ابن حزم العقل في تفسيراته وتأويلاته، فهو يعترف بأهمية العقل إلا أن تلك الأهمية لا تعطي العقل ثقة كاملة بحيث تؤدي به تلك الثقة إلى التقليل من أهمية "الشرع" أو "النص"، وحدّ العقل عند ابن حزم هو: استعمال الطاعات والفضائل واجتناب المعاصي والرذائل؛ فالعقل طاعة واللاعقل معصية، وقد نصّ الله تعالى في كتابه على أن من عصاه لا يعقل[3]: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ۝﴾[4].

وقد عدّ ابن حزم العقل معيار الحكم على القوى التي نكتسب من خلالها المعرفة وهي: "الحس، والظن، والتخيل"، فخداع الحواس يستبان بالعقل كما أنه قوة تميز بها

---

1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (78/5).

2) ابن حزم: الأصول والفروع، (ط1)، ت محمد عاطف العراقي، دار النهضة المصرية: القاهرة- مصر، 1978م، ص 167.

3) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 378.

4) الملك: 10.

النفس الأشياء، والقوة التي ترجع إليها في صحة الديانة، وصحة العمل الموصلين إلى فوز الآخرة، وبه نعرف حقيقة العلم، ونخرج من ظلمة الجهل[1].

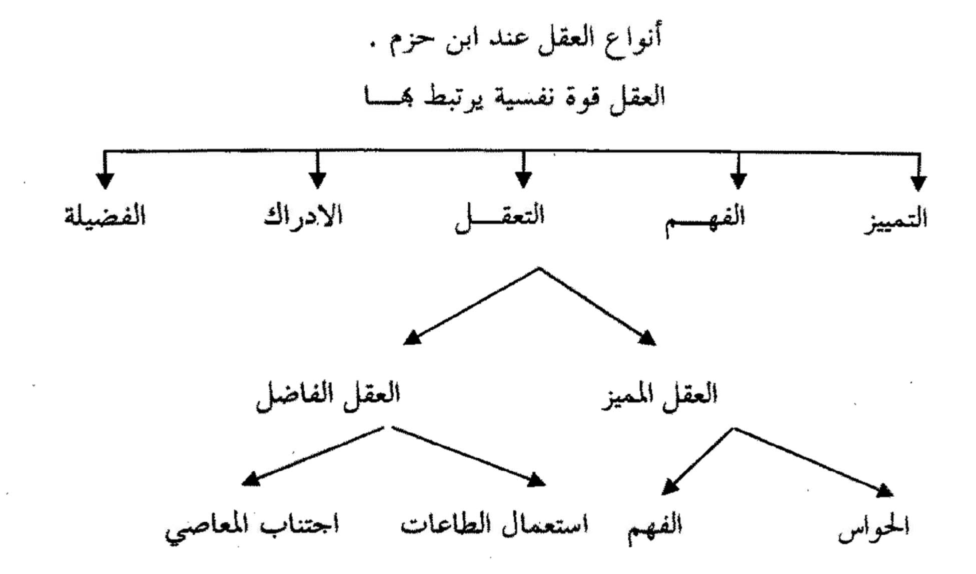
فالعقل عند ابن حزم قوة نفسية يرتبط بها التمييز والفهم والتعقل والإدراك والفضيلة، وهو نوعان:

1. العقل المميز؛ ووظيفته تمييز الأشياء المدركة بالحواس وبالفهم، وحدود هذا العقل معرفة صحة الديانة وصحة العمل الموصلين إلى فوز الآخرة، وصحة العلم.

2. العقل الفاضل ووظيفته استعمال الطاعات، واجتناب المعاصي؛ فهو استعمال ما ميّز الإنسان فضله كما هو موضح في المخطط (1).

مخطط (1)

أنواع العقل عند ابن حزم .



1) الإحكام في أصول الأحكام: مصدر سابق، ص 27.

كما يرى بأن العقل لا يحرم شيئاً ولا يوجبه؛ لأنه عرض محمول في النفس ومن المحال أن تحكم الأعراض وتوجب وتشرع وإنما في العقل معرفة الأشياء على ما هي عليه من كيفياتها وكمياتها[1].

3.1- النظرة إلى الخيــر والشــر.

انطلق ابن حزم في تحديد موقفه من الخير والشر من مسلمة؛ هي الإقرار بأن الله تعالى هو المقوّي على فعل الخير والشر؛ فإنه به عزّ وجل كان الخير والشر، وإذ لولا هو لم يكن خير ولا شر فهو كوّنهما وأعان عليهما وأظهرهما[2].

فالله وحده – حسب رأي ابن حزم – هو الذي يقرر ما هو خير وما هو شر لذلك فإن الأشياء لا توصف بأنها خير لذاتها، أو شر لذاتها، وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع الإلهي، يقول: "لا قبح لعينه، ولا حسن لعينه البتة، وإنه لا قبيح إلا ما حكم الله تعالى بأنه قبيح، ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن"[3].

وإن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضله على الناس، وإن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنسانا في دنياه، فمن قبل نفس المصاب بها، وكل ذلك من عند الله تعالى جملة[4]، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا

1) ابن حزم: رسائل لابن حزم الأندلسي (المجموعة الأولى)، ت إحسان عباس، مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر، 1970م، ص 29 .

2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (96/3).

3) المرجع نفسه، (101-66/3).

4) ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي (الجزء الثالث)، تحقيق إحسان عباس، (ط2)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت- لبنان، 1987م، ص 43 – 46.

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[1].

4.1- الجبــر والاختيــار.

كان ابن حزم من المؤيدين لمبدأ الحرية والاختيار، والإرادة والتمييز، فالله تعالى خلق فينا علماً تعرف به أنفسنا الأشياء على ما هي عليه، وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينا مما يسمى فعلاً لنا فخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه، فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون وكارهون متصرفون علماً. ويشير ابن حزم إلى أن الفعل الإنساني لا يكون نتيجة الاستطاعة؛ وحدها بل لا بد من زوال الموانع، وتوفيق الله تعالى (فالقوة التي ترد من الله سبحانه وتعالى على العبد فيفعل بها ما ليس طاعة ولا معصية تسمى عزما، أو قوة، أو حولاً لهذا يقال: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، بهذا أشار إلى توافر جملة شروط لتكون استطاعة الفرد لفعل شيء وهي: صحة الجوارح، أو الأدوات التي يتم بها الفعل، ارتفاع الموانع، إرادة الفعل التي تدفع الفرد إلى اختيار فعل ما والسعي إليه[2].

2- الفـــرد والمجتمــع.

استطاع ابن حزم أن يوفق بين دعوته إلى الاجتماع البشري وبين دعوته إلى حياة العزلة، ونصح الفرد بعدم الاختلاط بالآخرين إذا كان لأجل اللهو واللعب، إذ إن الاختلاط قد ينتج للفرد هموماً وآثاماً، أما إذا كانت الغاية منها طلب العلم، أو عمل الخيرات وتعلم الفضائل فتكون ضرورة لا بد منها إذ يقول: "من جالس الناس لم يعدم

1) النساء: 78-79.

2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (29/3-30).

هماً يؤلم نفسه، وإثماً يندم عليه في معاده، والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم، ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها"[1].

والحياة في نظره تعاون توجب على كل فرد أن يكون فيه عضواً مفيداً في مجتمعه؛ يقول ابن حزم: "إن من العجب من يبقى في هذا العالم دون معاونة لنوعه على مصلحة، أما يرى الحراث يحرث له، والطحان يطحن له، والنساج ينسج له، والخياط يخيط له، والبناء يبني له، وسائر الناس كل متولّ شغلاً، له فيه مصلحة وبه إليه ضرورة؟ أفما يستحي أن يكون عيالاً على كل العالم لا يعين هو أيضا بشيء من المصلحة؟"[2].

3_ الوراثة والبيئة:

يرى ابن حزم أن الإنسان يولد على الفطرة لا يعلم من أمر دنياه ومعاشه، لذلك يقول المولى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[3]. ويؤكد على دور الوراثة في سلوك الفرد، ولأن الإنسان لا يستطيع غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه فنجد الحافظ لا يقدر على تأخر الحفظ، والبليد لا يقدر على الحفظ، والبخيل لا يقدر على البذل، وهكذا في كل شيء فصحَّ أنه لا يقدر أحد إلا على ما يفعل بما يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله[4]. فالطبائع والعادات خلقها الله عز وجل، فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدا، ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون ممكناً له التصرف في العلوم والصناعات إن لم تعترضه آفـــة، وطبيعة الحمير

1) رسائل ابن حزم الأندلسي، (ج2+3): مرجع سابق، ص 348.

2) ابن حزم، رسائل لابن حزم الأندلسي (المجموعة الأولى): مرجع سابق، ص 82 — 83.

3) النحل: 78.

4) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (42/3).

والبغال بأنه غير ممكن منها ذلك[1]. فهو بهذا لا ينكر دور البيئة في السلوك حيث أن للعادة والاعتقاد الديني تأثيراً على طبائع البشر.

4- النظرة إلى الأخلاق.

يؤكد ابن حزم على الاقتداء بالرسول ﷺ واستعمال أخلاقه وسيرته ما أمكن، كما يذكر أن أصول الفضائل أربعة هي: "العدل، والفهم، والنجدة، والجود "، وأصول الرذائل أربعة هي: "الجور، والجهل، والجبن، والشح"، وليست هناك فضائل في ذاتها، ولا رذائل في ذاتها، لأن الله تعالى هو الذي حدد الحسن والقبح في الأشياء، وأن الفضيلة وسيطة بين الإفراط والتفريط فكلا الطرفين مذموم والفضيلة بينهما محمودة[2].

ويؤمن ابن حزم بضرورة نقد النفس ليتعرف المرء على عيوبه في الأخلاق ليقوم بمداواتها، ويشير إلى عدة طرائق يمكن أن تتبع لعلاج عيوب الأخلاق (تحوير السلوك) ومنها:

1. رياضة النفس أي مجاهدتها (مقاومة إغراء النفس).
2. اتخاذ الأنبياء صلوات الله عليهم والأفاضل من الحكماء وذوي السمعة الجيدة قدوة في أفعالهم وأقوالهم .
3. الاستمرار في العلاج حتى يتعود الصواب[3].

التطبيقات التربوية للفكر التربوي في العملية التربوية عند ابن حزم.

كانت آراء ابن حزم التربوية تمثل بنياناً متكاملاً متسقاً مع فلسفته العامة، وأفكاره واضحة من خلال كتاباته إذ اتسم أسلوبه بالبساطة والوضوح، وعلى الرغم من أنه لم

---

1) المرجع السابق، (16/5).

2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 345، 379، 401.

3) المصدر نفسه، ص 354.

يكن مربياً أو مؤدباً محترفاً وأن معظم تأليفه وإنتاجه كان في الفقه والسيرة والتاريخ والأدب إلا أن ذلك لم يمنعه من كتابة بعض الإشارات في ما يتعلق بالأهداف التربوية، والمعلم، والمتعلم، والمنهج الدراسي وطرائق التدريس كالآتي:

1- نظرة ابن حزم للتربية:

يرى ابن حزم أن التربية " مغناها، وثمرها، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس؛ بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرغبة وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة"[1].

2- نظرة ابن حزم للأهداف التربويـــة:

يشير ابن حزم إلى أن تحصيل العلم من الأمور التي تميز الإنسان عن الحيوان ويعد هذا هدفاً رئيساً لطلب العلم، إذ يخرج به من جملة أشباه البهائم، ومن هنا كان العلم مطلوباً لذاته لا من أجل منصب أو جاه، فيجب أن يهدف طالب العلم إلى الفوز في الآخرة بقوله: "من طلب العلم ليفخر به، أو ليمدح به، أو ليكتسب به مالاً أو جاهاً، فبعيد عن الفلاح لأنه ليس له غرض في التحقيق فيه، وإنما غرضه شيء آخر غير العلم"[2].

ومما يحققه العلم لطالبه مكانة اجتماعية قوامها الهيبة والاحترام إذ يقول بأنه: "لو لم يكن من فضل العلم إلاّ أن الجهّال يهابونك ويحبونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك، لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه"، كما يحقق العلم الصحة النفسية والتوجيه المفيد لطاقاته فيقول: "ولو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن

---

1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (94/2).

2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 76 –77.

الوساوس المضنية ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس، لكان ذلك أعظم داع إليه"[1].

2-آداب وكفايات المعلـــــم.

يشير ابن حزم إلى أن مهنة التعليم مهنة لها أصولها ولا ينبغي أن يدخل فيها الدخلاء فهناك قوم يظنون أنهم من أهل العلم وليسوا من أهله فيقول: "لا آفة على العلوم وأهلها أضرّ من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدّرون أنهم يصلحون"[2]. كما أشار ابن حزم إلى مجموعة من الآداب التي يجب أن يتمسك بها المعلم وهي:

1- الرضى بكفاف العيش والقناعة بدون إراقة لماء الوجه لدى سلطان.

2- ألاّ يرضى بالغش والتمويه.

3-عدم الازدراء بسائر العلوم وتنقيصها.

4- ألاّ يحسد من فوقه، ولا يحقرّ من دونه.

5- ألاّ يكتم علمه فيحصل هو ومن لا علم له في مترلة واحدة إذ كلاهما غير مستعمل للعلم.

6- ألاّ يتكلم في علم قبل أن يحكمه.

7- أن يتقي الله تعالى في سره وجهره[3]

8- ألاّ يخرج من مسلّمة إلى أخرى قبل تمام الأولى وبيانها.

---

1) المصدر السابق، ص 343.

2) المصدر نفسه، ص 345.

3) ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ت إحسان عباس، (دط)، دار مكتبة الحياة: بيروت- لبنان، 1959م، ص 196.

9- عدم التبحر في علم إلا على سبيل الاستفهام والتزيّد.

10- أن يتطابق قوله وفعله[1].

3- آداب المتعلم:

يوجّه ابن حزم المتعلم إلى أن لا يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وهو قادر عليها وأوصاه بدراسة العلوم الغامضة لأنها تزيد العقل القوي جودة[2]؛ وأن يطلب العلم لينتفع به طالبه، وينتفع به غيره في داره العاجلة وداره الآجلة التي هي محل قراره، وأشار إلى ضرورة التعب في طلب العلم، ووصف طول الطريق إليها بقوله: " الوقوف على الحقائق لا يكون إلا بشدة البحث، وشدة البحث لا تكون إلا بكثرة المطالعة والنظر في طبائع الأشياء وسماع حجة كل محتج والنظر فيها"[3]؛ أي إننا نصل إلى الحقيقة من خلال الاستماع إلى حجة العلماء، والانتباه إلى حالة تسترعي الانتباه يذكرها أهل العلم ومعرفة مميزاتها، ثم المطالعة حولها والبحث عن هذه الحالة كأن تستوجب تجربة ثم الوصول إلى النتائج وبها نقف على الحقائق.

وفيما يتعلق بمجالس العلم فقد بصّر المتعلم بان لها آداباً خاصةً بها أبرزها:

1- أن يقبل المتعلم برغبة صادقة في التعلم وبنشاط على طلب العلم وأن يهتم بالسماع والقراءة والكتاب[4].

---

1) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 413.

2) المصدر نفسه، ص 344.

3) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية: مرجع سابق، ص 198.

4) ابن حزم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، (دط)، دار الثقافة: بيروت- لبنان، 1970م، المجلد الثالث.

2- ألاّ يكون حضوره إلا حضور مستزيد علماً وأجرا لا حضور مستغنٍ، طالب عثرة.

3- أن يسكت سكوت الجهّال فيحصل على أجر النيّة في المشاهدة وعلى الثناء بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودّة من مجالس[1].

4- نظرة ابن حزم إلى المنهــج الدراســي:

حدد ابن حزم المواد التي يجب على الطفل أن يتعلمها بعد مولده بخمس سنين وتشتمل على " الخط، والكتابة، القراءة، وحفظ القرآن الكريم، النحو، علم اللغة – ويقوم على دراسة الألفاظ ودلالتها اللغوية- الشعر، علم الحساب، علم النجوم، المنطق، والطبيعيات؛ ويدرس في المنطق: الأجناس، والأنواع، والقضايا، والمقدمات، والنتائج، وأساليب التفكير السليم ليعرف ماهية البراهين ويقف على الحقائق ويميزها من الأباطيل، ويدرس الطبيعيات وأحوال الجو وتركيب العناصر في الحيوان والنبات والمعادن، ويقرأ كتب التشريح ليقف على محكم الصنعة وتأثير الصانع وتأليف الأعضاء، والتاريخ وله مكانة مهمة في نظر ابن حزم إذ يقول إنه علم ذو خصائص وغايات متميزة فوجّه المتعلم إلى دراسة أخبار العالم الماضية والحاضرة وأخبار الملوك، ما بعد الطبيعة[2].

ومن خلال هذا البرنامج التعليمي نلاحظ أنه كانت لابن حزم متطلبات في المنهج التعليمي ينبغي مراعاتها وهي:

1- أن تساعد المواد الدراسية المتعلم على تكوين قواعد خلقية تؤدي إلى تهذيبه.

---

1) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص411.

2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 63-79.

2- يوجب الاهتمام بالعلوم النافعة للمسلمين لذا يجب البدء بالعلوم التي تعد وسائل لغيرها كالعلوم اللسانية فيقول: "الواجب أن يهتم المرء بالعلوم الممكن تعلمها التي قد ينتفع بها في الوقت، وأن يؤثر منها بالتقديم ما لا يتوصل إلى سائره إلا به ثم الأهم فالأهم والأنفع فالأنفع"[1].

3- أن تخضع المواد الدراسية لبراهين العقل وملاحظة الحواس وتكون قابلة للتجريب.

4- أن تنتقى المواد المناسبة التي تعطي أفضل النتائج التربوية.

5- نظرة ابن حزم لطرائق التدريس:

أكد ابن حزم استعمال طريقة الاستجواب في التدريس، والاهتمام بهذا الأسلوب يتماشى مع اتجاهات التربية الحديثة في تأكيدها على موقع المتعلم في العملية التربوية كما أشار لشروط عديدة بخصوص الأسئلة التي توجه للمعلم ومنها:

1- أن يسأل المتعلم عن ما لا يدري لأن السؤال عما يدريه سخف وقلة عقل.

2- أن لا يكون فضولياً إذا أجابه المعلم بما فيه كفاية له.

3- إن لم يفهم المتعلم الجواب ليقل إنه لم يفهم ويستزد.

4- أن يراجع مراجعة العالم بأن يعارض الجواب بما ينقضه نقضاً بيّناً.

5- ألاّ يسأل المتعلم سؤال المتعنّت ومراجعة المكابر[2].

أما طريقة المناظرة فقد ذكر أنها تفيد في سماع وجهات نظر مختلفة إذ مع اختلاف وجهات النظر مع الأقران يلوح الباطل من الحق[3].

---

1) المرجع السابق، ص 60.

2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 411-412.

3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 77.

المبادئ التربوية المستنبطة من الفكر التربوي لدى ابن حزم الأندلسي

1- مبدأ التوجيه والإرشاد التربوي:

حثّ ابن حزم كثيراً على استخدام الموعظة الحسنة، ولين القول دون قهر أو زجر لغرض تحسين سلوك الفرد مشيراً إلى أن النصيحة فرض وديانة وقد وضع شروطا عديدة لتقديم النصيحة أبرزها:

1- أن تكون سراً لا جهراً أو بتعريض لا بتصريح إلا لمن لا يفهم.

2- أن يكون النصح بكلام ليّن وبشر وتبسّم، لأن خشونة الكلام في النصيحة تنفر فقد قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1].

3- التدرج في الإرشاد من خلال التنبيه والتذكير، ثم التوبيخ والتقريع ثم الركل، واللطام.

4- تكرار النصح، رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ.

5- التدرج في أشكال النصح من الوعظ بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يتقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، وأن يتحول بالموعظة خوف الملل[2].

2- ضرورة وضوح وتبسيط العلم:

التزم ابن حزم بمبدأ الوضوح وطالب غيره به، ويتحقق به أمل كبير للتربية الإسلامية، وهو إذاعة العلم ونشره ففي رسالة "التقريب لحد المنطق" نجد دعوته لتبسيط العلم وحث الأغنياء على توفير المعرفة للراغب بقوله: "فالحظ لمن آثر العلم وعرف فضله، أن يسهله جهده، ويقربه بقدر طاقته، ويحفظه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف

---

1) طه: 44.

2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 364-367.

به على قوارع طرق المارة ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع السيارة، بل لو تيسر له أن يهب المال لطلابه لكان ذلك حظاً جزيلاً"[1].

3- استخدام المنهج التجريبي:

أكد ابن حزم كثيراً التجارب في أحكامه التي يصدرها في التربية، والأخلاق، والسياسة، والاجتماع واشترط للتجربة التكرار الكثير الموثوق بدوامه بحيث: " تضطر النفوس إلى الإقرار به كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات"، وقد رفض الأفكار والنظريات الخيالية البعيدة عن الحواس لعدم إمكانية خضوعها للتجريب، منها على سبيل المثال رفضه للتنجيم بصفته علماً، إذ يقول: "لا يصح القضاء بالنجوم"[2].

4- الموضوعية في إصدار الأحكام:

أكد ابن حزم على ضرورة أن يتسم التفكير بالموضوعية واعتماد الأدلة والبراهين للتوصل إلى الأفكار الرئيسة وحذّر من أضرار التسرع في الأخذ بالظاهر بقوله: "ينبغي للعاقل أنْ لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه وكثرة تلوّمه وتقلبه وبكائه، فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المتعدي" وخرج من تجاربه الطويلة بتشديده على كل متكلم ألاّ يتكلم إلا بعد تفكير وامتحان كما أوصى الفرد بالحياد التام في كل ما يقرأ أو يسمع، فلا يحكم إلا بعد تجربة وبرهان بقوله: " إذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة

---

1) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية: مرجع سابق، ص 8.

2) الفصل في الملل والأهواء والنحل: مصدر سابق، (38/2).

المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن تتيقن بطلانه ببرهان قاطع، وأيضا فلا تقبل عليه إقبال المصدق به المستحسن إياه، قبل علمك بصحته، ببرهان قاطع "[1] .

5- مبـــدأ العمـــل بالعلـــم:

يوجب ابن حزم على كل فرد أن يكون عاملاً مفيدا بنفسه وعلمه وماله إذ يقول: "من أخذ من كل علم ما هو محتاج إليه واستعمل ما علم كما يجب فلا أحد أفضل منه، لأنه قد حصل على عز النفس وغناها في العاجل وعلى الفوز في الآجل"[2].

وقد أشار ابن حزم إلى أنه فرض على الناس تعلم الخير والعمل به، فمن جمع الأمرين جميعاً، فقد استوفى الفضلين معاً، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو خير من آخر لم يعلّمه و لم يعمل به، وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالة فيه وأقل ذماً من آخر ينهى عن تعلم الخير و يصّد عنه.[3]

6- الثقافة العامـــة والاختصاص في علـــم:

أشار ابن حزم إلى أن العلم يسود النشاط البشري جميعه ويشمل كل ميادين المعرفة وأن كل ما علم فهو علم، فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة وتدبير السفن، وفلاحة الأرض، وعلى كل إنسان أن يكون على نصيب من الثقافة العامة، سواء كان صانعاً أو طالب علم يريد التخصص فيه، فهناك معلومات عامة ومبادئ علوم لا بد من الإلمام بها قبل تعلم حرفة أو التطرق إلى فن، وحذر من التفريط فيها أو الإفراط في التزام علم واحد فيقول في ذلك: "من اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره، أوشك أن يكون ضحكة وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه، أكثر مما

---

1) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 205، 412.

2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 89.

3) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص 413.

أدرك منه لتعلق العلوم بعضها ببعض، ومن طلب الاحتواء على كل علم أوشك أن ينقطع وينحسر، ولا يحصل على شيء، وكان كالمحضر إلى غير غاية إذ العمر يقصر عن ذلك وليأخذ من كل علم بنصيب"[1].

7- مراعاة الميول العلمية:

يولي المربون اليوم عناية عظيمة لميل المتعلم إلى فن ما، ووجوب مراعاة هذا الميل لأن الرغبة حافز كبير في التحصيل بحيث يتعلم من العلوم ما لا غنى عنه في حياة كل فرد، ويعمل بمقتضى علمه، وحذّروا من إهمال هذا الحافز النفسي وقد قرر هذا أيضا ابن حزم بقوله: " من مال بطبعه إلى علم ما — وان كان أدنى من غيره — فلا يشغلها بسواه، فيكون كغارس النارجيل بالأندلس، وكغارس الزيتون بالهند، وكل ذلك لا ينجب"، كما ذكر أن نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم كإطعامك العسل والحلوى من به احتراق وحمّى، وكتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء "[2].

من هذا نجد أنه كان لابن حزم آراء في التربية والتعليم تكشف عن سعة أفقه في فهم طرائق التدريس ومناهج التعليم وهي كثيراً ما تطابق آراء التربية الحديثة في مجال مراعاة استعدادات المتعلمين وقدراتهم على الفهم وميولهم العلمية.

---

1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: مرجع سابق، ص 77، 80.

2) رسائل ابن حزم الأندلسي: مصدر سابق، ص344.

التوصيـــات.

في ضوء نتائج البحث يقدم الباحث التوصيات الآتية:

1- أن يركز المتخصصون في مجال التربية على أصول الثقافة العربية الإسلامية وأحوال الأمة العربية المعاصرة وواقع الثقافات العالمية المعاصرة عند تناول أي تطوير للعملية التربوية.

2- أن تقوم المؤسسات التربوية بإدخال: **" أعلام الفكر التربوي العربي الإسلامي"** كمادة دراسية في المناهج التعليمية ولمختلف مراحل التعليم .

3-إجراء دراسات لبناء الفلسفة التربوية العربية الإسلامية التي ينبغي أن توجه وتقود العملية التربوية.

